حقوق المرأة عند رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر
محمد بن مصطفى بن الخوجة الجزائري(1865-1915) أنموذجا

Women's rights among the pioneers of the reform movement in Algeria Muhammad bin Mustafa bin Al-Khouja Al-Jazaery (1865-1915) as a model

1- بن يوسف فاطمة - طالبة دكتوراه/ جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة - الجزائر
fbenyoucef@univ-dbkm.dz
2- د.عبد الباسط قلفاط جامعة الجيلالي بونعامة-خميس مليانة -الجزائر
a.kalafat@univ-dbkm.dz
مخبر المؤسسات الجزائرية عبر التاريخ ودورها في التنمية

تاريخ الاستلام: 08/ 04/ 2022 تاريخ القبول: 05/ 05/ 2022 تاريخ النشر: 15/ 06/ 2022

ملخص: تعد قضيه المرأة من أهم قضايا المجتمع التي ثار الجدل حولها بشكل كبير في القديم والحديث، وشغلت النخب والمشرعين في جميع الدول على اختلاف مرجعياتهم السماوية والأرضية؛ ولقد زادت معاناة المرأة في الفترة الحديثة والمعاصرة من سياسات وأعمال الحركة الاستعمارية، مما جعل الأصوات تتعالى من جديد في عصر النهضة للمطالبة برفع قيود الاستعمار عنها.

قدم بعض رواد النخبة الإصلاحية الجزائرية منذ القرن 19 آرائهم ومواقفهم حول قضايا المرأة، وأبرزهم محمد بن مصطفى بن الخوجة الذي رأى أن الكثير من معوقات النهضة ناتجة عن التخلف الذي تعيش فيه المرأة وبالتالي الأسرة فالمجتمع، وقد برزت مساهمته في مجموعة من التآليف والمقالات المنشورة في الصحف الجزائرية والعربية؛ تطرح هذه الورقة البحثية إشكالية أساسية تتمثل في مدى تمكن الشيخ ابن خوجة من تصحيح النظرة القديمة والرد على الأطروحات الإستشراقية - الاستعمارية في الجزائر والعالم الإسلامي حول دور المرأة في المجتمع؟

تحاول هذه الدراسة البحث في آراء بن الخوجة حول تحرير المرأة، وذلك من خلال إبراز أهم القضايا المتعلقة بالمرأة التي تناولها في كتاباته، اعتمادا على كتيباته ومقالاته الصحفية كمادة أولية للبحث إضافة إلى مجموعة من الوثائق الجديدة المتحصل عليها من أرشيف عائلته.

الكلمات المفتاحية:الإ سلام- الحقوق – المرأة - التعلم - محمد بن مصطفى بن الخوجة.

*- المؤلف المرسل

Abstract

The issue of women is one of the most important issues of society, about which controversy arose greatly in the ancient and modern times, and preoccupied the elites and legislators in all countries, regardless of their heavenly and earthly references.

Some of the pioneers of the Algerian reformist elite since the 19th century contributed their views and positions on women's issues, most notably Muhammad bin Mustafa bin Al Khoja, who saw that many of the obstacles to the renaissance resulted from the underdevelopment in which women lived and thus the family and society. This research paper raises a basic problem represented in the extent to which Sheikh Ibn Khoja was able to correct the old view and respond to the Orientalist-colonial theses in Algeria and the Islamic world about the role of women in society؟

This study attempts to research Ibn Al-Khoja's views on women's liberation, by highlighting the most important issues related to women that he addressed in his writings, based on his pamphlets and press articles as a primary material for research, in addition to a set of new documents obtained from the archives of the Ibn Khoja family.

Keywords: Islam - rights - women - learning - Muhammad bin Mustafa bin Al-Khoja

مقدمة

يعد محمد بن مصطفى بن الخوجة من أبرز العلماء المصلحين الجزائريين في الفترة المعاصرة، الذين اهتموا بقضايا النهضة الحديثة وأولو عناية خاصة بموضوع المرأة، فنادى بتحريرها واستند في ذلك إلى تعاليم الدين الإسلامي، وأكد على ضرورة تعليمها ومنحها حقوقها كاملة، حتى تتمكن من المساهمة في بناء الأسرة والمجتمع، ويرى أنها عنصر أساسي في استقرار نظام الحياة في أي مجتمع يسعى للريادة الحضارية، وهي بلا شك مفتاح التقدم وركن الإصلاح الرئيسي في الأمم والأوطان.

تطرح هذه الورقة إشكالية في مدى تمكن الشيخ ابن خوجة من تصحيح النظرة القديمة والرد على الأطروحات الإستشراقية - الاستعمارية في الجزائر والعالم الإسلامي حول دور المرأة في المجتمع؟ وما هي الظروف الاجتماعية والحضارية التي جاءت فيها تلك المساهمة؟

للإجابة على هذه الإشكالية تطرقت الدراسة لحياة المصلح ابن خوجة والظروف والتحديات التي نشأ وعمل فيها، وكذلك التعرض لما تركه من مؤلفات ومقالات خاصة منها التي تناولت قضايا المرأة وحقوقها التي ضاعت بين التفكير الرجعي في المجتمع الإسلامي والهجمة الاستعمارية الاستشراقية المعاصرة.

2. محمد بن مصطفى بن الخوجة عوامل النشأة والتكوين

2 .1 نشأته وتكوينه: هو محمد بن بكير بن الخوجة المشهور بالشيخ الكمال، ولد بمدينه الجزائر صبيحة يوم الاثنين 1865، وسط عائله معروفه بالورع والتقوى، جدته لأبيه تنتمي الى نسل الشيخ الحاج محمد بن جعدون[1] قاضي مدينة الجزائر في السنوات الأولى للاحتلال، نشأ الكمال نشأة دينية حيث دخل الكتاب وعمره خمس سنوات وختم سورة البقرة قبل سن الختان وأتم حفظ القرآن وهو لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره.[2]

هذه التربية الدينية والعلمية التي تلقاها منذ صباه أهلته في المرحلة التالية من عمره إلى التعلم على أبرز مشايخ وعلماء عصره، فأخذ منهم الأدب والنحو والتفسير والحساب، ومن هؤلاء نجد قدور باصوم[3] الذي قرأ على يده الأجرومية[4] ومحمد القزادري[5] وعلي بن سماية

---

1 محمد بن جعدون كان قاضيا مالكيا بمدينة البليدة ثم عينته السلطة الاستعمارية قاضيا بمدينة الجزائر خلفا للقاضي عبد العزيز المستقيل سنة 1834، وفرضته على أهالي المدينة رغم رفضهم له. أنظر: عبدالباسط قلفاط، **سياسة الاحتلال الفرنسي تجاه القضاء الإسلامي في الجزائر مابين 1830-1892**، دار قرطبة، الجزائر، 2015، ص214.

2 عبد المجيد بن نعيمة - محمد بن عمر،**موسوعة أعلام الجزائر(1954/1830)**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر،2007، ص421.

3 قدور باصوم:هو قدور بن محمد بن سليمان سار على الطريق الشاذلية، ثم أضيف لها التيجانية وله كتاب شرحه على صلاته المسماة بياقونة الصفافي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وله كذلك جلاء الران وتنوير الجنان.أنظر: أبو القاسم الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، بيير فونتانة، الجزائر، 1906، ص323.

4 الأجرومية: كتاب في علم النحو ألفه أبو عبد ابن داود الصنهاجي، الشهير بابن آجروم، وتعتبر الأجرومية من أهم الكتب النحوية على الإطلاق، ولأهمية الأجرومية إهتم العلماء بشرحها، وأصبحت تدرس في جل الجامعات .أنظر: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الصنهاجي، **الأجرومية**، تحقيق حايف النهان، دار الظاهرية، الكويت، 2011م، ص 6.

ومحمد السعيد الزواوي[6] الذي درس على يده السمرقندية في الاستعارات وأم البراهين لمحمد السنوسي[7]؛ ساهم هؤلاء المشايخ مع الجو الذي وفرته العائلة في استقامة لسان بن الخوجة، فنراه لاحقا يجمع بين الشعر والنثر، وأصبح لا يقل شأنا عن علماء عصره وأساتذته، ولكثرة اطلاعه قال عنه صديقه وتلميذه عمر راسم[8]:"انه شاعر الجزائر وأفصح علمائها وأعلمهم بتراجم علماء الجزائر، كثير الإطلاع بكتب عصره حلو الكلام وكان إذا خطب استدل بالآيات والأحاديث"[9].

لقد كانت ثقافة الكمال متعددة في العلوم العقلية من منطق صوري ورياضيات، ومتنوعة في الفنون الأدبية من نحو وبيان وشعر، ومتشبع بالمعارف الإسلامية من تفسير وأصول وتوحيد،

---

5 محمد القزادري كان إماما بالجامع الكبير ومدرسا بالثعالبية .أنظر: عمار عمورة، **الجزائر بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ الى 1962**، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 275.

6 السعيد الزواوي: (1851-1914) ولد بمنطقة زواوة وحفظ القرآن الكريم بزواياها، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر عام 1880م، ودرس بزاوية سيدي محمد الشريف ثم عين مدرسا بالجامع الكبير، ثم إماما بجامع سيدي رمضان،وفي سنة 1895م انتخب أستاذا للفقه وأصوله بالمدرسة الحكومية؛ تولى الإفتاء على المذهب المالكي سنة 1908م، من كتبه رسالة أوضح الدلائل في إصلاح الزوايا ببلاد القبائل.أنظر: عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ المدن الثلاث الجزائر- المدية- مليانة بمناسبة عيدها الألفي**، شركة دار الأمة، الجزائر، ط1، 2007م، ص 231- 232.

7 أبو عبدالله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني(1428- 1490) من كبار علماء تلمسان له مجموعة من المؤلفات في العقيدة والتفسير وعلم الكلام أشهرها "أم البراهين" وهو كتاب في التوحيد ويعرف أيضا بالعقيدة الصغرى .أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**،ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 93.

8 عمر راسم (1884-1959) صحفي ورسام جزائري تعلم في مساجد مدينة الجزائر ودرس سنة واحدة بالمدرسة الثعالبية، احتك بالصحافة والصحفيين بجريدة المبشر سنة 1898، كتب في صحافة جزائرية وتونسية باللغة العربية والفرنسية قبل أن يؤسس جريدته "ذو الفقار" سنة 1918، رافق الحركتين الإصلاحية والوطنية في الدفاع عن حقوق ومصالح الجزائريين. زهير احدادن، "عمر راسم صحفي ورسام"، **المجلة الجزائرية للاتصال**، جامعة الجزائر 3، المجلد 04، ع 09، 1992/03/01، صص 113- 114.

9 عمار طالبي،**آثار بن باديس**، ج1، الشركة الجزائرية، ط1 الجزائر،1968، ص 34 .

وقد انعكس كل ذلك في مؤلفاته وتقريضات علماء عصره[10]. كما كان في بداية حياته تيجاني الطريقة في التصوف، ولكن بعد تعلقه بالشيخ محمد عبده تخلى عن الطريقة التيجانيه[11]؛ ولا أدل على ذلك من أنه عند وفاته دفن بجوار رئيس الطريقة الرحمانية بمقبرة سيدي امحمد ببلكور أحد أحياء العاصمة، لم يكتف ابن خوجة بما تلقاه من علوم ومعارف على شيوخ عصره في صباه ولكنه استغل محيطه والوظائف التي انتسب إليها ليوسع مداركه وعلاقاته بالعلماء والنخب في الجزائر وخارجها من عرب وأوروبيين.

2.2 الوظائف التي شغلها والمناصب التي تقلدها: نظرا لنبوغ الشيخ بن خوجة بين أقرانه أولا وتمكنه من مجموعة من العلوم الشرعية والأدبية ثانيا فقد تقلد العديد من المناصب، وتنقل بين الوظائف الدينية والإدارية، منها تعيينه "حزابا"[12] بالجامع الأعظم ثم الجامع الجديد بمدينة الجزائر خلال الثمانينات، كما كان مدرسا وإماما خطيبا بجامع سفير، وفي آخر حياته عين وكيلا على ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي[13].

أما الوظائف الإدارية فتمثلت في تعيينه موظفا بالإدارة سنة 1886، ومحررا بجريده المبشر ومصححا للمطبوعات العربية في إدارة الولاية العامة إلى غاية 1901، وقد ظهر اسمه في عدد من المقالات بجريدة المبشر[14]، وكتب في عدد من الموضوعات التاريخية والأدبية والصحية

---

10 من هؤلاء العلماء عبدالقادر المجاوي وأحمد بوقندورة المفتي الحنفي بمدينة الجزائر وابن زاكور المفتي المالكي في الجزائر، ومحمد عبده ورشيد رضا ومحمد فريد بك من خارج الجزائر.

11 محمد بن مصطفى بن الخوجة، **الاكتراث في حقوق الإناث**، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، دار الخلدونية، الجزائر،2012، ص8.

12حزابا: هو القائم على الحزب الراتب في المساجد والزوايا، ويشترط في الحزاب أن يكون حافظا لكتاب الله لكي يسير له توجيه القراء، وحسب درجة المهارة والانضباط وجاذبية الصوت والأداء يستطيع الحزاب الارتقاء إلى مرتبة "باش حزاب" في المساجد الكبيرة التي تضم العديد من الحزابين،أنظر ابن منظور ، **لسان العرب**، تح عبد الله علي الكبير وآخرون، مجلد 4، دار المعارف، القاهرة، دت ، ص 854.

13 محمد بن مصطفى بن خوجة، **الأعمال الكاملة**، تقديم علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2012، ص9.

14 زهير إحدادن، **أعلام الصحافة الجزائرية**، ج1، دار التراث للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 6.

والجغرافية والفلاحية. توفي ابن الخوجة يوم 17 أوت 1915 ودفن بمقبرة الحامة بالجزائر العاصمة، بجوار شيخ الطريقة الرحمانية محمد بن عبد الرحمن الأزهري وعمره 50 سنه[15].

3.2 مؤلفاته: ترك الشيخ ابن خوجة مجموعة من المؤلفات بعضها مطبوع وبعضها مخطوط، وجلها صغير الحجم لا تتجاوز عدد صفحاته مائة، كما حقق بعض مؤلفات الأقدمين، إضافة إلى مجموعة كبيرة من المقالات في الصحف الجزائرية والعربية بعضها ما زال لم يدرس، وتناول في كتاباته موضوعات أدبية ودينية وعلمية غطت الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية؛ ألف جل كتاباته بين 1895 و1911، وهي الفترة التي تفرغ فيها للكتابة بعدما كان مشغولا بالالتزامات الإدارية والأعمال الصحفية.

بعض الموضوعات التي تناولها في مؤلفاته كان قد تطرق إليها في عدد من مقالاته بجريدة المبشر، وهي موضوعات كانت مطروحة عند رواد النهضة بالمشرق العربي كمحمد عبده ورشيد رضا ورفاعة الطهطاوي وقاسم أمين وغيرهم، وتتمثل كتبه في:"الاكتراث في حقوق الإناث"، ألفه سنة 1895؛ و"اللباب في أحكام الزينة واللباس والإحتجاب"، طبع سنة 1907؛ و"تنوير الأذهان في الحث عن التحرز وحفظ الأبدان"، ألفه عام 1896، و"السمط الدري في مسائل تتعلق بالجذري"، طبع عام1902؛ و"إقامة البراهين العظام في نفي التعصب الديني عن الإسلام" ،طبع سنة 1902؛ و"نبذة وجيزة في معنى الدين والفقه وما يتعلق بذلك ويتصل به"، طبع سنة 1902؛ و"مجموع مشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات سديدة"، طبع عام 1902[16].

ومن الكتابات التي هي أقرب إلى التقاريظ والتقارير الصحفية المطولة نجد: "عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر" طبع سنة 1902، و"خاتمه المجموع"، طبع سنة 1903، و"نبذة في أوائل الكتاب المسمى الجامع الكبير لسيدي عبد الرحمان الثعالبي"، طبع سنة 1911، وقد طبعت كل مؤلفاته بمطبعة بيير فونطانة وبعضها بمطبعة رودوسي[17].

---

15 عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**،ج 4، دار الثقافة للنشر، بيروت، 1980، ص 450.

16 سعد الدين بن أبي شنب، "النهضة العربية في الجزائر بالنصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة"، **مجلة كلية الأداب، كلية الآداب**، جامعة الجزائر، الجزائر، ع 1، 1964، ص 54.

17 المطبعتان من أقدم المطابع الخاصة التي نشطت في طبع كتب التراث الجزائري المحقق، الأولى تسمى "بالمطبعة الشرقية" وتأسست سنة 1835، وهي لمستوطن فرنسي نشرت الكثير من كتب التراث في نهاية القرن19 وبداية القرن 20؛ والثانية للإخوة رودوسي تأسست سنة 1895 وكانت لها مساهمة معتبرة في نشر التراث المحقق. جريدة **الوسط الجزائرية** "لمحات من تاريخ الطباعة في الجزائر"، 2020/12/06،

أما بالنسبة للكتب المخطوطة فلم يعثر إلا على عناوين لها، حيث ترك ورقه بخط يده جاء فيها:" ولقد لفقت كلمات من كتب الأعلام تقتصر من شبه التأليف على الاسم"[18]، ومن هذه المخطوطات نجد:"فتح العلام في علم الكلام"، "الجوهر المنظوم في شرح مقدمه ابن أجروم"، "بسط الدليل المهم في ذم الجهل و مدح العلم"، "أداء الأمانة في مسألتي(الفقه و الحضانة والولي)، و" ديوان سميته نسمات الأسحار في نبات الأفكار تحتوي على المنظوم و المنشور"؛ وقد تحصلت على الكثير من هذه الأشعار من عائلته ولعلها تنتمي الى هذا الديوان المفقود ومنه:

آه على الجزائر لما أصبحت للوحوش جهلا كناسا
وقديما للعلم كانت مأمنا حيث كادت تفوق مصر وفاسا[19]

حقق ابن خوجة مجموعة من كتب التراث التي أفاد بها طلاب العلم وكشف عن تراث علماء الجزائر السابقين، ولعل أبرزها "كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن" للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، طبع في أربعة أجزاء(1905/ 1909)، و"العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة" كذلك للشيخ عبد الرحمن الثعالبي طبع سنة 1900، وكذلك "الرد على من أخلد على الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض" للشيخ السيوطي[20].

3.مؤلفاته الخاصة بالمرأة

1.3 الاكتراث في حقوق الإناث: يتكون هذا الكتاب من 98 صفحه، لقي اهتماما واضحا من الإدارة الفرنسية، فترجمه المترجم العسكري أنتوان أرنو(Antoine Arnaud) [21] إلى اللغة الفرنسية، كما حصل على تقريض في جريده المبشر ومما جاء فيه ":فوجدته كتابا نفيسا في

18 عبد الرحمان الجيلالي، مصدر سابق، ص 323.

19 هذه المعلومات والمخطوط تحصلت عليها من العائلة.

20 مولود عويمر، "النخبة ا لإصلاحية الجزائرية وسؤال التنوير في القرن 19 وبدايات القرن 20"، **جريدة البصائر**، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الجزائر، العدد 146، 19/07/ 2015، ص 16.

21 أرنو: مترجم عسكري تولى رئاسة تحرير جريدة المبشر لمدة ربع قرن، وقد جمع حوله أعيان العلماء المسلمين أمثال الحفناوي،علي بن سماية،ابن الخوجة،أنظر عبد المجيد بن نعيمة، مرجع سابق ، ص 427.

ذلك المقصود كأنه الدر النضيد في نحور الخود، وقد اشتمل على مسائل نافعة ودلائل ساطعة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية ونصائح نبغاء وبدائع بلغاء"[22].

كما عرفت الجريدة في عدد لاحق بالكتاب واعتبرته " شاهد على حرية أفكار محمد بن مصطفى بن الخوجة، وسعة معارفه ومن أهم المطالب مسألة حال الأنثى في العائلة الإسلامية، وقد اعتدنا الخطأ فيها لأننا لم نعرف حقيقتها، فآتانا السيد المذكور ليطلعنا على الزواج عند المسلمين وعلى حقوق الأنثى وواجباتها" [23].

دافع في هذا الكتاب عن حقوق المرأة، وبرأ الإسلام مما ألصق به من بعض عادات المجتمعات الإسلامية المكتسبة عبر قرون فيما يخص وضع المرأة ومعاملاتها، وتناول في كتابه هذا مجموعة من المسائل التي تخص المرأة والتي كانت ومازالت إلى اليوم موضوع العلماء والباحثين مثل: تعليم المرأة وخروجها وعملها وحجابها وكذلك قضية تعدد الزوجات.

هذا الكتاب رغم ما فيه من إيجابيات وتنوير لأذهان النساء خاصة والمجتمع عامة إلا انه تعرض للانتقاد من طرف الشيخ البكري بن عبد الرحمن التواتي(1844-1921)[24] ضمن كتابه المخطوط المسمى "الديوان"، والغريب أن البكري اطلع على التأليف عام 1898 وهذا ما وجدناه في مخطوطه المسمى "الرد على بعض علماء الجزائر"، قام هذا العالم بالرد على بن الخوجة مثمنا حينا ومعاتبا أحيانا أخرى، خاصة في المسائل التي يقارن فيها المرأة الأوروبية بالجزائرية أو في بعض العادات الجزائرية القديمة التي اندثرت في ربوع الوطن ولم يبقى لها أثر، أو بقيت مقتصرة على مناطق معينه، كما أعاب عليه في مؤلفه هذا مدحه المتكرر للسلطات الاستعمارية التي جعلها مصلحه لأوضاع المجتمع لا مخربة ومفسده له[25].

---

22 **جريدة المبشر**، العدد3744 الصادرة بتاريخ1895/12/14

23 **جريدة المبشر**،العدد3772 الصادرة بتاريخ 1896/03/21.

24 الشيخ البكري بن عبد الرحمن التواتي(1844م-1921) تربى في بيئة علمية، وتتلمذ على والده ثم خاله الشيخ الحسن بن سعيد؛ انتقل إلى تيميمون وتتلمذ على يد مولاي عبد لحاكم بن عبد العالي ولازمه الى غاية وفاته،خلف البكري تراثا ضخما جمعه في ديوان من أربعة أجزاء ،منظومة المعيار في ذم الاستقصاء للنظار، نبذة في علم الميراث، مخطوط بعنوان الكوكب الدري في مناقب سيدي محمد البكري،أنظر:عبد الله بابا، "موقف الشيخ البكري بن عبد الرحمان التواتي من كتابات محمد بن مصطفى بن الخوجة 1898"، **مجلة عصور الجديدة**، مخبر التاريخ، جامعة وهران 1، الجزائر، المجلد 10، العدد 02 ،2020، ص 282، 283.

25 البكري بن عبد الرحمان التواتي ،**كتاب الديوان مخطوط الخزانة الأثرية زاوية سيدي عبد الرحمان البكري**،ج4،الجزائر، ص 356، نقلا عن عبدالله بابا، مرجع سابق، ص 385.

3. 2 اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب: اشتمل الكتاب على 198 صفحة من الحجم المتوسط، وقد سارعت السلطات الاستعمارية لنشره كما فعلت مع كتاب "الاكتراث في حقوق الإناث"، تحدث المؤلف فيه عن المعتقدات الباطلة والشائعة بين أفراد المجتمع خاصة في قضيه اللباس، ودعا الشعوب إلىالا ستفادة من بعضها البعض في ما يفيدها، كما شن هجوما على من يلزمون الرجل والمرأة بلباس معين لأداء شعائرهم الدينية وممارسه حياتهم اليومية.

كتابه هذا كان بمثابة هجوم على الذين يزعمون أن اللباس الغربي يتعارض والنصوص الشرعية، وأنه حرام ومن يلبسه تحل عليه اللعنة إلى يوم الدين، واستدل بأمثلة من العقل والنقل وبرأي الأئمة الأربعة وبآراء علماء عصره، وهو ما جعل الكتاب يكشف على فقه الرجل وسعة اطلاعه على مصادر الشريعة الإسلامية في قضايا المرأة والأسرة.

يشتمل هذا الكتاب على مقدمه وأربعة أبواب وخاتمة: تحدث بن خوجة في الباب الأول عن أصول وقواعد الزينة خاصة بالنسبة للمرأة، أما الباب الثاني فخصصه لذكر أحكام اللباس من مندوب ومباح ومكروه وحرام، والباب الثالث تناول فيه الاختلافات الموجودة في هيئات الملابس والتي ترجع إلى تقاليد وأعراف الشعوب والمجتمعات حتى ولو كانت تنتمي إلى نفس الحضارة، أما الرابع فتحدث فيه بإسهاب عن حجاب المرأة المسلمة وفصل فيه.

ما يؤخذ على ابن الخوجة أنه أثنى كثيرا عن الحكومة الفرنسية وعلى المجهودات التي بذلتها من أجل "إنقاذ وانتشال المرأة الجزائرية من غياهب الجهل التي وضعت فيه"، كما انه استخدم كثيرا مصطلح الحرية متأثرا بمعاصريه أمثال محمد عبده وقاسم أمين وغيرهما[26].

إذا ما يستخلص من كتابات محمد بن الخوجة أنها كانت تعبر عن واقع وآمال المرأة الجزائرية والعربية، وبذلك فهو قد حارب التقاليد البالية التي تحكم الواقع الاجتماعي للمرأة، واستغل ظروف ووسائل عصره لنشر أفكاره حيث كان موظفا بالإدارة الاستعمارية وقد شجعه بعض السياسيين والمستشرقين الفرنسيين على هذه الكتابات، فهو كان يتحرك في دائرة قريبة من أفكار الشيخ محمد عبده، ومرضي عنه من بعض الأوساط السياسية والثقافية للسلطة الاستعمارية، وان فاجأ ببعض أفكاره عددا من نخب وعلماء عصره في الجزائر مثل الشيخ البكري بن عبدالرحمان التواتي، ولعل أفكاره قد استفاد منها بعض رجال الإصلاح كما قبلت بها بعض النخب الجزائرية المتأثرة بالفكر الأوروبي.

---

26 محمد مصطفى بن الخوجة، **اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب**، تقديم وتعليق محمد شايب الشريف، دار ابن حزم، 2005، ص ص 150-162.

عاشت المرأة الجزائرية في عصر ابن خوجة بين تقاليد موروثة منعتها من التعلم و العمل بل وحتى الخروج من البيت عند بعض الفئات في الحواضر والبوادي، وزادتها سوءا السياسة الاستعمارية التي استغلت هذه الظروف لتبرر مسعى نقلها إلى المنظومة التغريبية الاستعمارية بدعوة تحريرها، وهي في الحقيقة لم توفر تعليما محترما للأطفال والرجال الذين صادرت مؤسساتهم التعليمية والاجتماعية[27]، لقد تعرضت المرأة الجزائرية إبان الحقبة الاستعمارية للإهمال والإهانة، مما اضطر بعضهن للتسول واكتساب رزقهن بأسوء طرق الاسترزاق، فهذا العقيد مونتانياك (Montagnac)[28] يكتب رسالة الى الجنرال لامورسير(Lamoricière)[29] جاء فيها:"إننا نحتفظ ببعضهن كرهائن ونستبدل بعضهن بالجياد ثم نبيع الباقيات منهن بالمزاد العلني باعتبارهن حيوانات لنقل الأحمال"[30].

هذه هي الظروف التي دفعت بن خوجة للكتابة في قضايا اجتماعية أسرية بمرجعية فقهيه، وهذا للدفاع عن المرأة وحقوقها، وللرد على المستعمر الذي أرجع تخلف المرأة إلى أحكام الشريعة الإسلامية الغراء[31]، وأراد – المستعمر- "تحريرها" بتغريبها في عادات وتقاليد لا صلة لها بدينها وهويتها، وبالتالي حتى تظل في حالة التخلف والكبت والحرمان الذي فرضته سياسته من جهة، وبعض عادات وتقاليد المجتمع السيئة من جهة أخرى، ولكن جاءت جهود المصلحين في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 لتكسير القيود المكبلة فيها، والعمل على تنوير عقلها وحثها على

---

27 - جمال قنان، **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار(1830-1944)**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، 2007، 13- 14.

28 ضابط فرنسي دخل الجزائر سنة 1837 وهو شاب وارتكب مجازر في نواحي سكيكدة وقاد معركة سيدي ابراهيم بنواحي الغزوات التي انتصر فيها الأمير عبدالقادر وقتل فيها الضابط مونتانياك في 25 سبتمبر 1845. اسماعيل العربي، **معركة سيدي ابراهيم وأسراها**، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، 1984، صص 22-23.

29 لامورسير: هو جنرال فرنسي من أكثر الضباط قساوة في تاريخ الاستعمار الإستيطاني خلال القرن 19، وهو المجند للغزوات والنهب وقد برز عام 1840م ، بوعلام نجادي، **الجلادون(1830،1962)**، تعريب،محمد المعراجي ، منشورات ANEP،2007، ص 54.

30 يمينة بشي، "مآثر المرأة الجزائرية خلال قرن من الاحتلال"، **مجلة المصادر** ، المركز الوطني للحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م، الجزائر ، العدد 3، 2000، ص 212.

31 يحي بوعزيز، **المرأة الجزائرية والحركة الإصلاحية النسوية العربية**، دار الهدى، الجزائر،2000،ص23.

التعلم والعودة بها إلى تعاليم الدين الإسلامي الصحيح، ومن هؤلاء بن الخوجة الذي أولى اهتماما بالغا بقضية المرأة، وقدر شخصيتها حق قدرها باعتبارها أما وبنتا وزوجة.

4- بعض قضايا المرأة في كتابات محمد بن مصطفى بن الخوجة

تعتبر قضايا المرأة أبرز المسائل التي شغلت مصطفى ابن الخوجة، كما اشتغل بعض معاصريه بقضايا أخرى مثل اهتمامات عبدالقادر المجاوي بالتربية والتعليم والشيخ المكي ابن باديس بالقضاء وعلي بن فخار التلمساني بقضايا اقتصادية تهم الجزائريين وغيرهم؛ وقد استغل بن الخوجة موقعه في الإدارة الاستعمارية وعمله الصحفي لنشر أعماله والتواصل مع النخب الجزائرية والفرنسية، ولعل أهم قضايا المرأة التي تناولها في كتاباته هي:

4-1 قضية اختيار المرأة للرجل عند الزواج:جاء الإسلام لينظم جوانب الحياة المختلفة فاهتم بالزواج وأحكامه، باعتباره أساس الأسرة وهو القاعدة التي يقوم عليها بناء المجتمع، لذا ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في حق اختيار كل منهما للآخر، ولم يجعل للوالدين سلطة الإجبار عليهما، فللمرأة حق اختيار الزوج وما للولي إلا التوجيه والإرشاد، ولا يملك ولها الحق في أن يجبرها على الزواج ممن لا ترضى عنه لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن"، ووري أن رجلا زوج ابنة له وهي كارهة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أبي زوجني رجلا وأنا كارهة، وقد خطبني ابن عم لي فقال: "لا نكاح له انكحي من شئت[32]".

من هذه الخلفية الفقهية ومن مصادر الشريعة الإسلامية الأساسية انطلق ابن الخوجة في رفض عادة فرض الزوج على الزوجة، فالزواج عنده يعتبر من خصوصيات المرء، ولا يجوز لأحد الوالدين إجبار ابنته على الزواج، ولا يجوز له أن يزوجها لمن ساءت أخلاقه أو ضعف دينه أو قصر عن القيام بحقها لقوله صلى الله عليه وسلم:" فلينظر أحدكم أين يضع كريمته"[33]، ولهذا أكد ابن خوجة على أن تزويج البنت دون مشورتها فيه تجاوز للسنة، والسنة هي الإستئذان، إذ من حقها اختيار من ستبني حياته معه وتتوفر فيه شروط الكفاءة وهي ستة :

---

[32] أحمد بن شعيب النسائي، **السنن الكبرى**، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن ، ج 3، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 282.

[33] عن أنس ابن مالك عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :" من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمه".أنظر: أحمد بن عبد الله بن عدي الجرجاني، **الكامل في ضعفاء الرجال**، تحقيق: سهيل زكار، مختار عزاوي، ط3، دار الفكر للنشر، بيروت، 1998م، ص 322.

النسب، الحرية، الإسلام، الديانة ،المال والحرفة ثم القدرة على المهر والنفقة، وقبل هذا كله أن يكون سليم العقل والبدن[34]

لقد كان بن الخوجة من المصلحين الذين رفضوا نظام الإجبار واعتمد نظام المراجعة والاختيار في قضية الزواج، لأن استشارة البنت فيما يخص حياتها يجنبها الكثير من المشاكل التي تؤدي في الأخير إلى الطلاق من قبل الرجل، أو إلى الخلع من قبل المرأة.

2.4 قضية تعليم المرأة: تمتد المساواة بين الرجل والمرأة في نظر بن خوجة إلى مسألة التعليم، ففي كتابه "الإكتراث في حقوق الإناث" نادي بضرورة تعليم المرأة، لأنها أساس النهضة، وهو السبيل لخروجها من الانغلاق والعزلة والمساهمة في بناء الأسرة والمجتمع، وهو القائل:"إلا أن النساء من الجهل صرنا لا يفرقن بين الحلال والحرام وهن إلا كالبهائم السارحة والأنعام، وما ذاك إلا لجهلهن بالكتابة التي هي مفتاح العلوم لكل قاصد"[35].

وعند الحديث عن تعليم المرأة نجد الكمال قد أعطى أروع مثال على نساء النبي رضي الله عنهن، فهذه السيدة عائشة رضي الله عنها بنت الخليفة أبي بكر الصديق أعلم نساء زمانها بأيام الله وأشعار العرب وأحوالهم وأنسابهم وأسباب نزول الآيات ورواية الأحاديث، وعليه فان ديننا الحنيف لم يخص طلب العلم بجنس دون الآخر، والمتصفح للتاريخ سيجد لا محالة كثيرا من أعلامه نساء قد برعنا في شتى الميادين، كأم سلمة وصفيه وفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وأم الدرداء ... وغيرهن كثير، وفي هذا قال بن الخوجة:

ولو كان النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال

فلا التأنيث لإسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال[36]

بهذه النماذج وبتلك الأدلة رد بن الخوجة على الذين يتحججون في قضيه تعليم المرأة بأحد الأحاديث الضعيفة، التي تقول:"لا تنزلوهن في الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والمغزل"[37]، وكيف يصح هذا الحديث وفي عهده عليه الصلاة والسلام الكثير من المعلمات للكتابة والقراءة، وينتهي إلى التأكيد على قاعدة فقهية مفادها أن لا تغيير للأحكام بتغيرالأيام[38].

---

34 بن الخوجة، الاكتراث في حقوق الإناث، مصدر سابق، ص 39 - 40.

35 نفسه، ص 82.

36 نفسه، ص ص 85- 89.

37 محمد ناصر الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، المجلد السابع، مكتبة المعارف، الرياض،1996، رقم الحديث 2017.

38 ابن الخوجة، المصدر السابق، ص 105.

يكشف ابن الخوجة على عقلية مريضة كانت منتشرة في المجتمعات العربية عند أنصاف المتعلمين، الذين يمنعون النساء من تعلم الكتابة والقراءة، لا حجة لهم سوى زعمهم "أن النساء من طبعهن الخيانة والفساد، ولا شيء أضر من تعليمهن، لان حصولهن على هذه الملكة من أعظم ذرائع الشرور، أما الكتب فلا يقرأن منها إلا ما يختص بالعشق وحيل للنساء ومكرهن، أما الكتابة فأول ما تتمكن منها تكتب رسالة الى عمر وأخرى الى زيد"، واعتبر ابن خوجة أن أصحاب هذه الأفكار والحجج يحملون بين جنباتهم نفوسا ضعيفة وضمائر ميتة انتهت بهم إلى منع تعليم بناتهم وشقيقاتهم، وما النساء إلا كالرجال و"لسن كلهن على هذه الصفات الذميمة"[39].

لقد بين بن خوجة في كتاباته حق المرأة في التعليم والتثقيف، وأباح لها أن تحصل على ما تشاء من فروع العلم والمعرفة، وبدأ بما يتصل بأمور دينها ودنياها كالعقائد والعبادات والحلال والحرام، إضافة إلى علم الأصول والمنطق، كما شجعها على تعلم اللغات لغرض نفع المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم :"من تعلم لغة قوم أمن مكرهم"،وقال شاعر:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه وتلك له عند الشدائد أعوان
فبادر إلى حفظ اللغات مسرعا فكل لسان في الحقيقة إنسان[40]

إن منافع العلم – في نظر بن خوجة - للمرأة كما للرجل، فالعلم "لم يفرض على المرأة من باب تهذيبها ورفع شانها كزوجه فقط"، بل إن الفقهاء أجازوا لها الانتفاع بهذا العلم في الشؤون العامة في الحياة، بداية من تربية أولادها إلى تصحيح وضعيتها، حتى تقدر على أداء وظيفتها في الأسرة والمجتمع على أحسن وجه، وكثيرة هي العادات التي انتشرت بين النساء بسبب الجهل، ثم تبذل الجهود والأموال والأوقات لمحاربة كل الجهالات، فالمرأة الجاهلة يؤدي بها جهلها إلى الكفر أحيانا من خلال زيارة الدجالين من أجل الحمل أو الطلاق أو الزواج، وبالتالي تهدر أموالها ومسؤولياتها والسبب أنها جعلت مع الله ربا آخر شريك له في القدرة والتأثير[41].

3.4 تعدد الزوجات: مسألة التعدد من المسائل الشائكة التي أثارت الجدل وما زالت رغم أن الدين فصل فيها بالدليل، فالكتاب والمصلحون لا زالوا يسيلون الحبر على هذه المسألة، ويرى

---

39 نفسه، ص 90.

40 ذكرهما ابن الخوجة في كتابه "الإكتراث" لكن في الحقيقة هذان البيتان هما: لصفي الدين الحلي، **الديوان**، دار صادر، بيروت، 1994، ص 36.

41 ابن الخوجة، مصدر سابق، ص ص 82 – 92.

بن الخوجة أن الشريعة أباحت للرجل الاقتران بأربعة نسوة، بشرط القدرة على العدل بينهن وإلا فلا يجوز الاقتران إلا بواحدة، لقوله تعالى:" فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة"[42]، والحكمة في تعدد الزوجات تحصين من لم تكفه امرأة واحدة، لغلبة الشهوة عليه وتكثير النسب وغلق باب الفساد في وجه النساء أو تقليله، لان الرجال كما لا يخفى معرضون للنقص بسبب الحروب ومشاق العمل، فلو حرم التعدد لبقيت الكثير من النساء دون زواج؛ ومن شروط التعدد:العدل بين النساء في المأكل والمشرب، البيتوتة عندهن للصحبة والمؤانسة، الهدايا[43].

اختلف بن الخوجة في هذه المسألة مع أستاذه الإمام محمد عبده، إذ كان هذا الأخير من بين المنادين بتقنين التعدد لما فيه من مضار ووافقه على ذلك قاسم أمين، وأرجع محمد عبده قراره هذا بقناعته أن التعدد يؤدي إلى اختلال نظام البيت وتفريق أهله، إذ العماد القويم لتدبير المنزل هو بقاء الإتحاد والتآلف بين أفراد العائلة، ثم إن الرجل حتى وان استطاع العدل بين نسائه فانه يستحيل أن يعدل بينهن في الميل القلبي، واستشهد بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم:"اللهم هذا جهدي في ما أملك ولا طاقة لي فيما تملك ولا املك"[44]، كما اعتبر أن العدل شرط للتعدد وهو أمر يصعب تحقيقه لذا لا يصح أن يتخذ كقاعدة، وللحاكم بناء على ذلك أن يمنع تعدد الزوجات مطلقا، اللهم إلا إذا كانت المرأة عقيما فيسمح للرجل الزواج بأخرى غير عقيمة[45]، وقد وافق قاسم أمين الإمام في قضيه التعدد وذهب إلى أخطر من هذا إذ قال:"إن تعدد الزوجات حيلة شرعيه لقضاء الشهوة وهي علامة تدل على فساد الأخلاق، وإذا أطلنا النظر في النصوص القرآنية في تعدد الزوجات نجد أنها تحتوي إباحة وحضر في آن واحد "، كما اعتبر التعدد احتقار شديد للمرأة ودعا رجال عصره إلى الإقلاع عن هذه العادة كما أجاز للحاكم منع التعدد[46].

استطاع بن الخوجة من خلال طرحه لمسألة التعدد في الإسلام أن يرد على أولئك الذين يطعنون فيه، واثبت بالدليل أن القرآن والسنة يقيدان التعدد بعدم الجور والظلم للمرأة، وقد انتقد ما جاء به محمد عبده من أفكار تمنعه بحجة انه ظلم في حق المرأة، فلو كان كذلك لما

42سورة النساء، الآية 3.

43 ابن الخوجة، مصدر سابق، ص ص 6-7.

44 رواه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

45 عبد الرحمان بدوي، **الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية**، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005، ص ص 164 – 165.

46 قاسم أمين، **تحرير المرأة**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص ص 80 - 81.

شرعه الإسلام، بل يرى فيه أنه حياة أخرى لنساء أخريات، فهو يقيهن من الوقوع في الفاحشة ويمنع عنهن العنوسة[47].

4.4: قضية حقوق المرأة المالية: ناقش الكمال الكثير من القضايا المالية الخاصة بالمرأة وبين فيها حقوقها كاملة، موضحا عدالة الإسلام في معاملة المرأة وتكريمها لها رغم تشكيك المشككين والحاقدين على الدين، فمن الحقوق المالية للمرأة نجد حقها في:الصداق أو المهر لقوله تعالى "وآتوا النساء صدقاتهن نحلة"[48]، وقد فرضه الله على الزوج تكريما للمرأة لإظهار صدق الرجل فيها، وجعله الله حقا من حقوقها المالية يحظر على الرجل أيا كان أن يأخذ منه شيئا دون رضاها لقوله تعالى "فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا"[49]، والمهر ملك للزوجة دون غيرها كالأب أو الأخ أو الزوج، ولها الحرية والأهلية الكاملة للتصرف فيه، لأن هناك بعض العادات الذميمة التي تحرم المرأة من الصداق أو المهر[50]، وانتقد بعض العادات السيئة المنتشرة في بعض المناطق التي تجعل من المرأة إرثا للزوج في حياته وميراثا لأهله في مماته وهذا وفق العرف المسمى "تعلقيت"، والمقصود منه "طريقة متبوعة في بعض القرى والبوادي الجزائرية ومفادها:أن المرأة إذا مات زوجها تصبح من حقوق الورثة، فإذا حلت لأحد الورثة وارتضاها تزوجها ودفع مهرها، وإن لم يتفق الزواج بها اختاروا لها زوجا آخر، وما يعطى لها من مهر يقسم نصفه للأب والنصف الباقي يقتسمه أهل الزوج"[51].

وبنظر العالم الفقيه يؤكد ابن خوجة على أن الله عز وجل قد جعل الصداق للنساء على الأزواج دون العكس، ليكون ذلك موافق لطبيعة الأشياء وفطرتها ومناسب لوظيفة كل من الرجل والمرأة، "ففطرة المرأة نعومة وحنان وأمومة وتربية الأولاد ورعاية البيت، وفطرة الرجل قوه وخشونة وقدرة على المشاق والقيام بمختلف الأعمال، ولذلك أنيطت له مسؤولية الكسب والإنفاق"[52].

---

47 ابن الخوجة، مصدر سابق ، ص ص 14 -15.

48سورة النساء، الآية 4.

49 سورة النساء الآية 4.

50 ابن الخوجة، مصدر سابق ، ص 33.

51 نفسه، ص 34-35.

52 نفسه، ص ص 34 -37.

5-4 مسألة الميراث: كانت المرأة محرومة من الميراث أيام الجاهلية حيث كان الإرث محصورا على من يقاتل دفاعا عن القبيلة ويحمي الديار، بل أكثر من هذا كانت المرأة بمثابة المال المنفق الذي يورث بين أهل الزوج، حتى جاء الإسلام وكسر تلك المقاييس وأقر حق المرأة في الميراث من والديها وأقاربها لقوله تعالى:"للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر"[53]، وبين ابن الخوجة أن للمرأة حق التصرف في ميراثها في حدود الشريعة، ولها الحق في أن توكل غيرها شانها شان الرجل خصوصا وأن المرأة مكفولة منه، كما نبه في كتابه إلى بعض التصرفات التي تحرم المرأة من الميراث في بعض المناطق الجزائرية ، بل وحكموا على من يورث المرأة بغرامة مالية، وهذا تجاوز للشرع وهو مرفوض جمله وتفصيلا[54].

6-2 قضية اللباس: خصص الاستعمار الفرنسي الإمكانيات المادية والمالية والعلمية لدراسة الأسرة الجزائرية، سواء من الدارسين الفرنسيين أو من بعض النخب الجزائرية خدمة له أو جهلا بمخططاته، فدقق في التعرف على عاداتها وتقاليدها وحتى تفكيرها، ثم سعى إلى فرض المنظومة الفكرية والاجتماعية الغربية عليها، وذلك من خلال تجريدها من حجابها وعادتها وقيمها المرتبطة بدينها، هذا ما دفع الكثير من المصلحين يكتبون في قضايا لباس المرأة لإبعاد كل الشبهات عنها، فهذا محمد بن الخوجة الذي رد على المستعمر وعلى المستشرقين من خلال كتابه "اللباب في أحكام الزينة واللباس والإحتجاب"، حيث اعتبر اللباس جزء من الهوية الثقافية والحضارية للفرد والمجتمع، وبه تتميز المجتمعات عن بعضها، ويعطيها خصوصيتها المادية والمعنوية، هذه الأسباب جعلته يخصص موضوع اللباس في كتاب كامل، لتوضيح الصورة الضيقة لدى بعض الأفراد والجماعات فيما يخص تحديد الإسلام للباس معين، وشن هجوما عنيفا على الذين يزعمون أن اللباس الغربي يتعارض والشريعة الإسلامية وأنه حرام، وقد رد على هؤلاء بأدلة من العقل والنقل حيث أن هناك لباس خاص ببعض المهن والحرف، بل ذهب إلى أكثر من هذا ووضح أن الإسلام لم يوجب على معتنقيه لباسا معينا لا داخل الصلاة ولا خارجها، كل ما في الأمر أن لباس العبادة له شروط خاصة[55]، ثم إن الناس يختلفون

53سورة النساء ، الآية 7

54 ابن الخوجة، مصدر سابق، ص 30.

55 ابن الخوجة، **اللباب في أحكام الزينة واللباس والإحتجاب**، مصدر سابق ، ص ص 128-129-135.

في المأكل والمسكن فكيف لا يختلفون في الملبس، وهناك أسباب أخرى لاختلاف اللباس تعود إلى المناخ فنجد الحار والبارد وهذا ما يقرر نوعه اللباس[56].

انتهى ابن الخوجة في خاتمة كتابه إلى التنبيه على مخاطر هذا التفكير الضيق الذي يربط بين خصوصيات اللباس والانتماء إلى الدين، وأكد "أن شريعتنا سهلة لا تضييق فيها ولا تشديد ولا يجوز تكفير الناس بسبب ألبستهم ما عدا اللباس المصنف حرام أصلا"[57]، وهي مخاطر سبق بها مصلحي عصره، وما زال العلماء اليوم يحرمون تكفير الناس لأبسط الأسباب، كتغيير بعض عاداتهم في اللباس والزينة والمأكل والمسكن وغيره.

إن جهود ابن الخوجة كانت ردا كذلك على مساعي النساء الأوروبيات المناديات بضرورة تخلي المرأة الجزائرية على لباسها التقليدي والشرعي، ولقد شن الكتاب الفرنسيون حمله شرسة ضد الحجاب أو الحايك واللحاف، الذي يعتبر رمز من رموز الهوية للنساء الجزائريات، واعتبره الأوروبيون رمزا للتخلف والإنغلاق على النفس والمجتمع وعلى الآخر، واتخذ لذلك الهدف عدة طرق ووسائل، ولكنه فشل واعترف في الأخير بفشل سياسته، فقد كتبت إحدى النساء الفرنسيات:" عندما أردت إلباس مسعودة قطعه من ملابسي تهربت، فمجرد التفكير في الأمر أزعجها وكأنني اقترحت عليها التخلي عن حياتها، بسبب ما كانت تعلم أن في زيها عفة تحفظها وتحميها من أفكارنا"[58].

لقد أعطى الكمال حيزا كبيرا لقضية الحجاب في كتابه "اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب"، وبرهن بأدلة قطعيه لفرض ارتداءه لقوله تعالى:"ياأيها النبيُ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما "[59]؛ حيث أن المولى عز وجل أمر بالحجاب فهو ستر للمرأة، ولا يمنعها من القيام بواجباتها ولا من العمل، وبين أن لها الحق في إبراز وجهها أمام القاضي وأن تبرز الخطيبة وجهها لخطيبها والمريضة لطبيبها والمتعلمة لمعلمها[60].

---

56 نفسه، ص 115

57 نفسه

[58] سكينة مساعدي، **أخواتنا المسلمات أو أسطورة تحرير المرأة الجزائرية بتحضيرها وتبشيرها تمجيدا للغزو وأيديولوجية الاستعمار في الجزائر المحتلة**، تر:حضرية يوسفي، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص 151.

59 سورة الأحزاب، الآية 59.

60 ابن الخوجة، مصدر سابق، ص151.

فالحكمة من الاحتجاب هو إبعاد المرأة عن الفحشاء أو التقليل منه بقدر الإمكان، وهو يرى أن الوصول إلى المستترات متعذر أو متعسر بالنسبة إلى المنكشفات، والرغبة في الشيء لا تكون إلا بعد النظر إليه، أما التربية وحدها فلا تفي بالمراد لكونها لا تقوى على كبح الشهوة[61].

في الوقت الذي أكد فيه ابن الخوجة وزملاؤه من العلماء المصلحين على ضرورة الالتزام بالحجاب لأنه فرض أولا، ولا يعيق أي نشاط للمرأة ثانيا، نجد هناك دعوه مغايرة تماما ليس لها من غاية سوى هدم الأسرة المسلمة، ويطمح أصحابها إلى نشر السفور، مثل مقولة قاسم أمين:" ليس هناك نصوص شرعيه توجب الحجاب على الطريقة المعهودة، وإنما هي عادة فرضت عليهم من مخالطه بعض الأمم فاستحسنوها، وأخذوا بها وبالغوا فيها والبسوها لباس الدين كسائر العادات الضارة التي تمكنت من الناس باسم الدين والدين براء منه"[62]، فقاسم أمين اعتبر الحجاب رمز للتخلف والرجعية، بل هو سجن يجب على المرأة أن تتحرر منه.

كانت مرجعية ابن الخوجة في حقوق المرأة عموما هي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والتمثيل بنماذج من الحضارة الإسلامية في عهد تطورها، كما نبه إلى تجارب الأمم الأخرى الناجحة، لقد جاءت أراؤه في كل قضايا المرأة دالة على سعة علمة وعمق فقهه وتفتحه، فقد كان مطلعا على مواقف معاصريه في الشرق والغرب في قضية "تحرير المرأة"، وأثبت مثلا أن الحجاب أصل من أصول الشريعة الإسلامية ومن ثم لا اجتهاد فيه، لأن الحجاب هو صيانة للمرأة الجزائرية خاصة والمرأة المسلمة عامة.

خاتمة

يعتبر محمد بن مصطفى بن الخوجة من أوائل المصلحين في الجزائر الذين ناقشوا وبالتفصيل الكثير من قضايا المرأة الجزائرية خاصة والمسلمة عامة، وترجع قيمة ما قدمه إلى الظرفية التاريخية التي نشأ وعمل فيها، وإلى اطلاعه على وضع المرأة الأوروبية وإلى احتكاكه بالنخب الأوروبية، هذا دون أن ننسى تأثره بالحركات الإصلاحية في المشرق العربي خاصة منها حركة محمد عبده؛ وقد استغل أدوات عصره في تبليغ أفكاره مثل الصحافة ونشر الكتيبات والعمل مع الجمعيات والنوادي الثقافية، إضافة إلى العمل الدعوي بالمساجد من خلال الدروس والخطب المنبرية.

اصطبغت أعمال بن الخوجة حول قضايا المرأة بالتجديد والاجتهاد دون الخروج عن أحكام الشريعة الإسلامية، حيث بين أولا أن الإسلام بريء من كل التهم التي نسبت إليه فيما يخص

---

61 نفسه، ص ص 160 -161.

62 قاسم أمين،مصدر سابق، ص 39.

المرأة، وما لحق بها يعود أولا إلى تقاليد وأعراف محلية اكتسبها المجتمع في عصور التخلف ولا لصلة لها بالإسلام، وثانيا كشف عن إستراتيجية الاستدمار الفرنسي الذي رأى أن القضاء على هوية المجتمع الجزائري ومرجعيته الحضارية يأتي عن طريق المرأة، وزاد وضعها سوءا انغلاق الرجل الجزائري بعاداته وتقاليده الباليه وتعصبه لسلوكات اجتماعية لا تقرها قيمه الحضارية ولا أسباب تقدم الشعوب، ولقد استمرت الدول الغربية في تطبيق إستراتيجيتها القديمة الجديدة في البلاد العربية والإسلامية حتى بعد استقلالها، عن طريق السعي لفرض منظوماتها الفكرية ونظامها الاجتماعي خاصة في قضايا المرأة والأسرة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، السنن الكبرى، ج3، بيروت، دار الكتب العلمية.
أرشيف العائلة.
- الألباني محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، المجلد السابع، مكتب المعارف،1996، رقم الحديث 2017
- بابا عبد الله، موقف الشيخ البكري بن عبد الرحمان التواتي من كتابات محمد بن مصطفى بن الخوجة 1898م، مجلة عصور الجديدة، مخبر التاريخ، جامعة وهران 1، الجزائر، المجلد 10، العدد 02، السنة 2020.
- بدوي عبد الرحمان، الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005.
- بشي يمينة، مآثر المرأة الجزائرية خلال قرن من الإحتلال، مجلة المصادر، المركز الوطني للحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م، الجزائر، العدد 3، 2000.
- البكري بن عبد الرحمان التواتي ،كتاب الديوان مخطوط الخزانة الأثرية زاوية سيدي عبد الرحمان البكري،ج4،الجزائر.
- بن خوجة محمد بن مصطفى،الإكتراث في حقوق الإناث، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، الجزائر، دار الخلدونية، 2012.

- بن خوجة محمد مصطفى، اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب، تقديم وتعليق محمد شايب الشريف، الجزائر، دار ابن حزم، 2005.

- بن نعيمة عبدالمجيد، محمد بن عمر، موسوعة أعلام الجزائر(1830/1954م)، الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2007.
- بوعزيز يحي، المرأة الجزائرية والحركة الإصلاحية النسوية العربية، الجزائر، دار الهدى، 2000.
جريدة البصائر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الجزائر، العدد 146، 19/07/ 2015.
- جريدة المبشر،العدد 2814 بتاريخ 1887/1/15
- جريدة المبشر، العدد3744 الصادرة بتاريخ1895/12/14
- جريدة المبشر،العدد3772 الصادرة بتاريخ 1896/03/21.
- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ المدن الثلاث الجزائر- المدية- مليانة بمناسبة عيدها الألفي، الجزائر، شركة دار الأمة، 2007م.
- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام،ج 4، بيروت، دار الثقافة للنشر، 1980م
- طالبي عمار،آثار بن باديس، المجلد 1،الجزائر، الشركة الجزائرية، 1968م
- الحفناوي أبي القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر، مطبعة بيير فونتانة، 1906.
- مساعدي سكينة، أخواتنا المسلمات أو أسطورة تحرير المرأة الجزائرية بتحضيرها وتبشيرها تمجيدا للغزو وأيديولوجية الإستعمار في الجزائر المحتلة، تر:حضرية يوسفي، الجزائر، موفم للنشر، 2012.
- نجادي بوعلام، الجلادون (1830 - 1962)، تعريب،محمد المعراجي ، الجزائر، منشورات ANEP،2007.
سعدالله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي،ج3، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998.
- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ إلى 1962، الجزائر، دار المعرفة، 2009.
- عويمر مولود، النخبة ا لإصلاحية الجزائرية وسؤال التنوير في القرن 19 وبدايات القرن 20.
- قاسم أمين، تحرير المرأة، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2012.
- قلفاط عبد الباسط، سياسة الاحتلال الفرنسي تجاه القضاء الإسلامي في الجزائر ما بين 1830-1892، الجزائر، دار قرطبة، 2015.
- قنان جمال، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار(1830-1944)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، 2007.